تفسير ابن كثير

# تفسير ابن كثير | شرح الشيخ عبدالرحمن العجلان | 4- سورة إبراهيم | من الأية 31 إلى 81

عبدالرحمن العجلان

---

فاوحى اليهم ربهم لنهلكن الظالمين ولا نسكننكم الغرض من بعدهم ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد واستفتحوا وخان كل جبار عنيد. من ورائه جهنم ويسقى من ماء يتجرعه ولا يكاد يسيغه ويأتيه الموت من كل مكان - 00:00:00

ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت ومن ورائه عذاب غليظ. مثل الذين كفروا بربهم اعمالهم اشتدت به الريح في يوم عاصف لا يقدرون مما كسبوا على شيء ذلك هو الضلال البعيد - 00:00:38

في هذه الايات الكريمة يقص جل وعلا علينا بقية المحاورة والمجادلة التي كانت بين الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين وبين اممهم وما جرى من اممهم من رد الحق وعدم قبوله - 00:01:08

ومجادلة الرسل عليهم الصلاة والسلام لاممهم بالتي هي احسن وماذا كانت النتيجة بعد ذلك في درس اليوم تظهر النتيجة يقول الله جل وعلا وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من ارضنا - 00:01:52

او لتعودن في ملتنا مكتبة الامم الكافرة برد الحق وعدم قبوله بل توعدوا الرسل للاخراج من الارض او الرجوع والصيرورة الى ملتهم التي هم عليها اما ان تكونوا على ملتنا او طريقتنا - 00:02:26

والا اخرجناكم من الارض اخرجناكم من بلادنا وهكذا كثير من الامم قالت لانبيائهم ذلك لنخرجنكم من ارضنا وجاءوا بالمؤكدات واللام الموطئة للقسم ونون التوكيد الثقيلة لنخرجن لنخرجنكم من ارضنا لا تساكوننا في البلد - 00:03:04

لنخرجنكم او لتعودن في ملتنا يكونون على طريقتنا ومثلنا وعلى ما نحن عليه او لتعودن في ملتنا او هنا تخيرية انا نخرجكم او ترجعون او لتعودن في ملتنا. عاد هنا بمعنى - 00:03:46

اثار والعودة بمعنى يعني تصيرون مثلنا وليست على معناها الحقيقية الرجوع الى ما كان عليه الانسان من قبل لان الانبياء والرسل صلوات الله وسلامه عليهم معصومون من الشرك قبل ان يوحى اليهم - 00:04:20

الانبياء قبل ان يوحى اليهم بالوحي من الله معصومون من الشرك صلوات الله وسلامه عليهم ولو كانت تعودن على بابها وصار معنا ترجعون الى ما انتم عليه سابقا من الشرك بالله وليس كذلك - 00:04:48

فلم يكن الانبياء على شركهم عليهم الصلاة والسلام وانما العودة هنا بمعنى الصيرورة يعني تصيرون ووجه بعض المفسرين قال ان المراد الانبياء ومن امن بهم وغلب الخطاب للانبياء لان من امن بالانبياء - 00:05:09

كانوا من قبل على الشرك فهداهم الله جل وعلا بانبيائهم فامنوا بالله ورسله او لتعودن في ملتنا ملتنا طريقتنا ومذهبنا وما نحن عليه من عبادة الاوثان فاوحى اليهم ربهم فاوحى اليهم ربهم - 00:05:34

لما تأزم الموقف واشتد الكرب وتوعد بالخروج او بان يرجعوهم على طريقتهم السيئة طريقة الشرك جاء الفرج من الله جل وعلا فاوحى اليهم ربهم لنهلكن الظالمين سيحصل الهلاك قريبا لمن عاند الرسل ولم يمتثل امر الله جل وعلا - 00:06:04

لنهلكن الظالمين ومؤكد من المؤكدات وخبر الله جل وعلا صدق ولو لم يقترن بالتأكيد وخبر رسوله صلى الله عليه وسلم صدق لنهلكن الظالمين الظالمون لانفسهم للشرك بالله اظلم الظلم هو - 00:06:40

الشرك لانه صرف حق الله جل وعلا لغيره ويقول الله جل وعلا عن لقمان الحكيم انه قال لابنه يا بني لا تشرك بالله ان الشرك لظلم

عظيم فاظلموا الظلم هو الشرك بالله - 00:07:13
لان اخذ حق المخلوق لمخلوق ظلم واعلم من ذلك واشد صرف حق الله جل وعلا لمخلوق ولنسكننكم الارض من بعدهم ما بين ايديهم من ممتلكات وغير ذلك ستؤول اليكم ولا يكفي هلاكهم فقط - 00:07:37
وانما هلاكهم وميراثكم ما بأيديهم ولنسكننكم الارض من بعدهم لتسكنن في الارض ولتقومون فيها شرع الله ولنسكننكم الارض من بعدهم ذلك الاهلاك اهلاك الاعداء واسكانهم الارض من بعدهم لمن خاف مقامي - 00:08:15
الوقوف بين يدي الله جل وعلا ومن خاف الوقوف بين يدي الله استعد لهذا الموقف العظيم يقول الله جل وعلا ولمن خاف مقام ربه المرء اذا خاف الوقوف بين يدي الله استعد - 00:08:50
واذا استعد فاز وسعد ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد وخاف الوعيد المتوعد به من عرف حق الله لغيره خاف الوعيد الوارد في ايات الله جل وعلا وفي كتبه لان الله جل وعلا - 00:09:20
توعد من خالف امره وعصى رسله لمن خاف مقامي وخاف راعيه واستفتحوا واستفتحوا معطوف على قوله جل وعلا فاوحى اليهم ربهم لنهلكن الظالمين ولنسكننكم الارض من بعدهم واستفتحوا الاستفتاح طلب الشيء - 00:09:53
او طلب النشر او طلب الحكم طلبوا الحكم طريقين اي ان الرسل صلوات الله وسلامه عليهم استنصروا الله جل وعلا او طلبوا من الله جل وعلا ان يحكم بينهم وبين خصومهم - 00:10:39
فيقال الاستفتاح ويطلب به النصر ويكون بمعنى طلب النصر كما في قوله جل وعلا ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح ويطلق الاستفتاح ويراد به الحكم كما في قوله تعالى ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق - 00:11:17
بيننا وبين قومنا بالحق والمستفتحون هم الرسل صلوات الله وسلامه عليهم وقيل المستفتحون هم الكفار الذين كفروا طلبوا نزول العذاب من الله ابعادا له وتهتم بالرسل صلوات الله وسلامه عليه - 00:11:56
وقد استفتح كفار قريش في معركة بدر الكبرى قالوا من استفتاحهم اللهم اقطعنا للرحم واتانا بما لا نعرف فاحمه الغداة اهلكهم الذي جاء بما لا نعرفه والذي قطع ارحامنا فأهلكهم - 00:12:33
فقال الله جل وعلا ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح وان تنتهوا فهو خير لكم. وان تعودوا نعد ولن تغني عنكم فئتكم شيئا ولو كثرت. وان الله مع الصابرين وقالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء. او اتنا بعذاب اليم - 00:13:00
وقيل الاستفتاح صادر من الرسل صلوات الله وسلامه عليهم ومن الكفار كلهم استفتحوا فجاء النصر من الله جل وعلا لاولياءه والعذاب الاليم لاعدائه واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد بمعنى خسر - 00:13:31
وتعز كل جبار متجبر متكبر على عباد الله المتكبر والكبر صفة ذميمة للمخلوق الكبر صفة ذميمة وتوعد الله المتكبرين بالنار والنار تنادي يوم القيامة ان حقي كل جبار عنيد كل متجبر متكبر على الله وعلى عباد الله - 00:13:59
وخان كل جبار عنيد بمعنى معاند والمعاند هو الذي يسلك غير الطريق السوي يلد ويبعد عن الطريق السوي من ورائه جهنم ويشقى من ماء صليب من ورائه وراء قال اهل اللغة - 00:14:45
من الكلمات التي تستعمل في الاضجاد للامام والخلف كما قال الله جل وعلا وكان ورائهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا وكان ورائهم بمعنى امامهم سيمرون عليه من ورائه جهنم يعني امامه - 00:15:15
ويقال للمتوعد بشيء ما انا ورائك او هذا الامر او هذا الوعيد وراءك يعني لا محيد لك عنه وتصادفه وتقع فيه لا خلاص وهنا يقول الله جل وعلا من ورائه جهنم يعني مآله ومصيره - 00:15:46
الى جهنم والعياذ بالله من ورائه جهنم ويسقى من ماء صديد جهنم التي اوقد عليها الف سنة والف سنة والف سنة حتى صارت سوداء مظلمة وقولها كما قال الله جل وعلا الناس والحجارة - 00:16:17
عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون ويشقى من ماء صديد اذا طلب السقيا يؤتى بماء صديد. والصليب هو ما يشيل من لحمه ويتجمع نتيجة احراقه والعياذ بالله - 00:16:48

او الصديد صيف ودم او الصديد ما يسيل للخروج الزانيات والعياذ بالله ويسقى من ماء صديد يتجرعه يتكره يكرهه ولا يريده وانما يرغم عليه رغم انفه منه شوى وجهه ووقعت ثروة رأسه - 00:17:18

واذا شربه قطع امعاءه حتى تخرج من دبره والعياذ بالله يقول الله جل وعلا وسقوا ماء حنينا فقطع امعائهم ويقول جل وعلا وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه وهو اذا ادناه من وجهه سوى الوجه - 00:18:00

وسقطت ثروة رأسه يعني رأسه تسقط في هذا الشديد من شدة حرارته فاذا ارغم على شربه يتجرعه يتغصبه يعني يعطى اياه دفعة بعد دفعة وليس ولم يكن ليشربه مرة واحدة ويستريح منه - 00:18:28

بل يرغم عليه مرارا وتكرارا تتجرعه ولا يكاد يصيغه يقال ساغ الشراب في الحلق بمعنى نزل بسهولة وسرعة لكن هذا لا يكاد يصيغه لا يدفعه بشدة ولابد من ذلك يتجرعه ولا يكاد يصيغه - 00:18:53

ينزل مع حلقه بشدة وغلظة وتغصب ويسقى من ماء شديد يتجرعه ولا يكاد يسيغه ويأتيه الموت من كل مكان انواع العذاب متكاثرة عليه يعذب بالنار ويعذب بالبرد الشديد الزمهرير ويعذب بالماء الغالي الماء الحنون الذي يغلو من شدة حره - 00:19:29

ويسقى القيح والصديد وكل نوع من هذه الانواع العذاب يشعر معه بالموت ولا يحصل له نتمنى الموت يشعر بالموت من كل ناحية من نواحي جسمه. حتى من اطراف الشعر والعياذ بالله - 00:20:17

ويأتيه الموت من كل مكان من كل جهة ومن كل نوع من انواع العذاب انواع متنوعة وهذا ما حمل بعض السلف رحمهم الله على ان يديموا البكاء ويديم القنوت والصلاة ليلا - 00:20:48

مع البكاء فقيل لهم ما لكم يرحمكم الله تفعلون هذا الفعل فيقول قائلهم لو توعدني ربي ان عصيته بالشمس لاتيت بما استطيعه من العبادة خوفا من العذاب فكيف وقد توعد بنار جهنم - 00:21:13

من وراءه جهنم ويسقى من ماء صديد يتجرعه ولا يكاد يسيئه ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت يتمنى الموت لو يأتي لكن عذاب الموت وسكرات الموت والم الموت يشعر به ولا ينفك عنه ابدا والعياذ بالله - 00:21:39

ويأتيه الموت من كل مكان من كل عظم وعرق وعصب كل جزء من اجزاء جسمه يشعر بالموت والالم الشديد ويتمناها ولا يحصل لها كما قال الله جل وعلا عنهم انهم قالوا يا ما لك ليقضي علينا ربك قال انكم ماكثون - 00:22:04

يتمنون الموت ومن ورائه عذاب غليظ مع هذا ومع التجرع واسقائه الصديق هو في العذاب الغليظ المستمر والعياذ بالله يقول جل وعلا مثل الذين كفروا بربهم اعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف - 00:22:33

لا يقدرون مما كسبوا على شيء ذلك هو الضلال البعيد يمثل جل وعلا اعمال الكفار التي يعملونها في مثل حسي مقرب الى الاذهان يدركه كل انسان وما المراد بهذه الاعمال - 00:23:07

مثل الذين كفروا اعمالهم كرم اشتدت به الريح ما هذه الاعمال؟ قيل اعمال صالحة صدقة واحسان ونفع للغير وصلة رحم واعمالا حسنة لكنها غير مبنية على اساس ليست على التوحيد - 00:23:38

وعلى افراد الله بالعبادة بل مع هذه الاعمال الحسنة هم مشركون يعبدون غير الله هل تنفعهم اعمالهم هذه تلك في الدار الاخرة؟ لا وقيل المراد باعمالهم عبادتهم الاوثان التي اتعبوا انفسهم - 00:24:08

العبادة وارهقوا ابدانهم بالعمل للمشركين يجدونها في الدار الاخرة هكذا اشتدت به الريح مثل الذين كفروا بربهم اعمالهم كرامات الرماد معروف وما ينتج عن احراق اشتدت به الريح الرماد خفيف - 00:24:31

والريح شديدة عاصف اشتدت به الريح في يوم عاصف شديد الريح قوي هل يستطيع ان يمسكوا شيئا من من هذا الرماد اذا زري في شدة العاصف وذهب به واتلفه كذلك اعمال الكفار - 00:25:03

دون ما يقدمون على الله جل وعلا في الدار الاخرة كل اعمالهم سواء كانت صالحة غير مبنية على توحيد الله او كانت فاسدة شرك بالله لو كانت مخلوطة من هذا وهذا كلها لا قيمة لها كما قال الله جل وعلا وقدمنا الى ما عملوا من عمل - 00:25:34

وجعلناه هباء منثورا في يوم عاصف لا يقدرون مما كسبوا على شيء وعملهم وتحصيلهم في الدنيا كله ذهب كذهاب هذا الرماد

والعياذ بالله لا يقدرون مما كسبوا على شيء ذلك اي - 00:26:00
فعل هؤلاء الكفار الظلال البعيد والبعيد عن الحق الذي لا نتيجة له ولا فائدة فيه بل هو خسارة ووبال عليهم لا ينتفعون به والله جل وعلا يسوق هذه الايات لعبادة - 00:26:29
ليتذكروا ويتأمل ويقارن بين حال الفريقين من كان في جنة عرضها السماوات والارض اعدت للمتقين اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر - 00:26:56
مهما تصورت من السعادة والنعيم لا تدرك ابدا ما اعزه الله جل وعلا لاهل الجنة وبين حال الفريق الثاني والعياذ بالله المتوعد بنار وقودها الناس والحجارة من ورائه جهنم ويسقى من ماء صديد - 00:27:25
يتجرعه ولا يكاد يصيغه. ويأتيه الموت من كل مكان وماء ميت. ومن ورائه عذاب غليظ خالدين فيها دائما وابدا والعياذ بالله طرق بعيد وبول شاسع بين الفريقين واخلاص العبادة لله وحده هو الثمن - 00:27:53
في الجنة التي عرضها السماوات والارض واعطاء النفس ما تشتهيه وتميل اليه وترك عبادة الله جل وعلا ثمنه النار والعياذ بالله وبقاء الانسان في دنياه وان عمر طويلا وهي تمضي بسرعة ويسر - 00:28:27
ان كان في حال حسنة مضت وانتهت وان كان في حال سيئة مضت وانتهت واما الدار الاخرة ما هي دار الاقامة دائما وابدا السعيد من ابتعظ بآيات الله جل وعلا - 00:28:56
وتدبر القرآن وتأمل آياته واستفاد منها واستعد لمقامه بين يدي الله جل وعلا واستعد للسؤال والجواب واعلن ان معه ملائكة يحصون اعماله ويسجلونها والله جل وعلا لا تخفى عليه خافية من عمل العبد - 00:29:19
ثم جل وعلا ينطق الجوارح فتشهد بما عملت يقول الله جل وعلا لعبده الدار الاخرة عملت كذا وكذا وعملت كذا وكذا وربما انكر العبد ما يقول الله جل وعلا له - 00:29:51
فتحظر الملائكة وينطق الله الجوارح. فتشهد الايدي والارجل والجلود. كل بما فعل. كما قال الله جل وعلا وقالوا لجلودهم لما شهدتم علينا قالوا انطقنا الله الذي انطق كل شيء وهو خلقكم اول مرة واليه ترجعون. وما كنتم تستترون ان يشهد عليكم سمعكم ولا ابصاركم ولا جلودكم - 00:30:16
ولكن ظننتم ان الله لا يعلم كثيرا مما تعملون. وذلكم ظنكم الذي ظننت بربكم ارداكم فاصبحتم من الخاسرين واصبروا فالنار مثوى لهم وان يستعتبوا فما هم من المعتدين. لا يقبل منهم عذر. اعذر الله جل وعلا - 00:30:48
وبين طريق الخير وطريق الشر. وارسل الرسل وانزل الكتب ووهب العقول التي تميز وتدرك ويعرف الحلال ويعرف الحرام فاذا اخذ في طريق الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين - 00:31:14
وسلك السبيل المستقيم. وحافظ على فرائض الله جل وعلا. سعد سعادة ابدية في الدنيا والاخرة واذا ترك الصراط المستقيم والعياذ بالله وتنكب الجادة. ورفض اوامر الله واوامر رسوله صلى الله عليه وسلم - 00:31:39
حشر وهلك وخسر الدنيا والاخرة والعياذ بالله والله جل وعلا يسوق هذه الايات عظة لعبادة والسعيد من وعظ بغيره والشقي من امهل لنفسه حتى يباغته الاجل وهو على معصية الله جل وعلا فيقدم على الله باعماله - 00:31:59
هذه السيئة والعياذ بالله ارجو الله جل وعلا ان يمن علي وعليكم بالعلم النافع والعمل الصالح وان يجعلنا جميعا من الهداة المهتدين وان لنا نياتنا وذرياتنا وازواجنا واهل بيوتنا. وان يجعلهم عونا لنا على طاعته. وان يصلح احوال المسلمين جميعا - 00:32:27
ويجمعهم على الحق والهدى وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى اله وصحبه اجمعين - 00:32:51